ذلك فهذا الفن وفقائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ماعداه

(مقدمة ثالثة) ليعلم أن المقصود نفيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة فظن أن مسالكهم نقية عن التناقض بيان وجوه تهافتهم فلذلك أتالا أدخل في الاعتراض عليهم الا دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت فابطل عليهم ما اعتقدوه مقطوعا به بالزامات مختلفة فألزمهم تارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا مذهب الواقفية ولا أنتهض ذابا عن مذهب مخصوص بل أجعل جميع الفرق إلبا واحدا عليهم فان سائر الفرق ربما خالفوني في التفصيل وهؤلاء يتعرضون لاصول الدين فالتظاهر عليهم فسند الشدائد تذهب الاحقاد (الكلام بقية)

باب الاخبار والآثار

المؤتمر الاسلامي

نشرنا في هذا الجزء خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التي اقترح فيها على مسلمي مصر الدعوة الى مؤتمر إسلامي

جاء الرجل مصر لهذا الغرض فبدأ بزيارة أصحاب الجرائد اليومية وكاشف المسلمين منهم بما جاء لأجله فوعده صاحب جريدة المؤيد منهم بالمساعدة ودعا الناس الى سماع خطبته التي أعدها لذلك. وقد طبع أولا ألف دعوة ووزعها على نحو ٦٠٠ من اختار من الوجهاء والفضلاء وكان وعدهم ليلة السبت خمس بقين من رمضان فأجاب الدعوة كثيرون وحضر كثيرون ولم يدعوا فازدحموا على باب قاعة الكونفرنس وتعذر تقديم المدعوين على غيرهم فكان السابق هو المقدم كأن كل واحد منهم كان يرى أن الداعي والمدعوين وغيرهم من المسلمين سواء في حضور هذا الاجتماع الذي يبحث فيه عن أحوال المسلمين كافة

كان عدد المجتمعين زهاء ثلاث مئة رجل فقرئت عليهم الخطبة التركية ثم رجتها العربية وبعد ذلك قام صاحب المؤيد فذكر بتمهيد وجيز في كون فكرة المؤتمر ناضجة قد استعدت لها النفوس - أسماء طائفة من شيوخ الأزهر ووجهاء العاصمة قال انهم أذنوا له بأن يذكرهم انهم أجابوا الدعوة وهم الأساتذة المشهورون الشيخ سليم البشري والشيخ محمد رفيق البكري والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد حسنين العدوي والشيخ حسين والي والباشوات حسين واصف واسماعيل أباظه والدكتور حسن رفقي وعلي شعراوي والدكتور طلبي وموسى غالب ، والبكوات أحمد تيمور وعبد العزيز فهمي المحامي ورفيق العظم وطلعت حرب وحقي العظم وابراهيم الملباوي المحامي واحمد زكي ويوسف صديق ومحمد لطفي المحامي ومحمد فريد وعلي بهجت واسماعيل رأفت وحسن بكري المقاول ومحمد أحمد الشريف ثم ذكر من الصحافيين نفسه وحافظ أفندي عوض . وقد علمنا أنه كان كلم أكثر الشيوخ والباشوات من هؤلاء قبل ليلة الاحتفال ودعاهم الى ذلك دعوة خاصة فرضوا وأذنوا له بذكر أسمائهم . وقد انتقد بعض الناس هذا وقالوا انه عبارة عن اجابة الدعوة قبل سماعها وقد رأى أنه لا بد من تواطؤ خاص

ثم أشيع في البلد أن وراء الستار إرادة تدبر أمر المؤتمر وتصرف كبراء المشتغلين به في علمهم ورأيت غير واحد من ذكرنا أسماءهم آنفا يظن هذا في بعضهم . واقترح بعض الوجهاء على صاحب المؤيد أن يدعو كبرا من الفضلاء الى حضور أول اجتماع يعقد للبحث في المؤتمر فدعا بعض من سمي له وأفرادا من غيرهم الى الاجتماع في دار الشيخ البكري في الساعة الخامسة من ليلة ٩ شوال فأجاب الدعوة زهاء خمسين رجلا

اجتمعوا في روضة الدار وكان صاحب المؤيد قد دعا من حضر ممن ذكر أسماءهم من قبل وسلم اللجنة التحضيرية الى مخدع بجانب الروضة يأتمرون ويتشاورون في اقتراح عرضه عليهم وهو أن يخرج من اللجنة أناس منهم بعد اختيار من رضاه ويرضونه ليكون مكانهم ثم يختفوا على ذلك اذ رأى بعضهم انه لا حق لهم بان يستبدوا بالعمل هم ومن يختارونه

ولما طال الانتظار وعلم المختار ظهر الغضب على بعض الحاضرين وقال بصوت جهوري ما معنى لأن ندعى الى مشروع عام ويتركنا الداعي ويخلو بنفر من دوننا في مخدع يأتمرون بينهم سرا ؟ ماهذا الا إهانة وعمل غير معقول: فرأى من القوم إرتياحا لقوله وموافقة له عليه وصاروا يتغامزون بينهم : إن البكري وصاحب المؤيد قد استبدا بالمشروع لأمر يريدان أن يختارا المؤتمر من يرضيان ليتم ذلك الأمر

وكان ذلك الغاضب قد دس على النفر المؤتمرين في مخدعهم واعاد عليهم ما قال آنفا فخرجوا وقام فيهم صاحب المؤيد فقال انه قد شاع بين الناس ان ارادة خاصة تدير أمر مشروع المؤتمر وهذا غير صحيح وانما خلونا لنتذاكر فيما نعرضه عليكم وهو انا رأينا من مصلحة المشروع أن أخرج أنا وحافظ أفندي عوض منه وحسن باشا رفقي واسماعيل باشا أباظه وفلان وفلان فالمرجو منكم ان تنتخبوا بدلهم من الحاضرين لاتمام اللجنة التحضيرية للمؤتمر : أو ما هذه خلاصته فبرأ نفسه بخروجه مما ظن فيه الظانون

فقام كاتب هذه السطور وقال ان بقية من سميتموهم اللجنة التحضيرية لم ينتخبوا فالعدل أن ينتخب جميع الاعضاء ابتداء . فحاول صاحب المؤيد والسيد البكري ان يثبتا عدم الحاجة الى جعل أحد ممن ذكرت أسماؤهم لية الاحتفال بالخطبة موضعا للانتخاب لأنهم ذكروا أمام مقترح المؤتمر وجمهور من حضر خطبته ولم يعارض في أحد منهم أحد ! والسيد البكري سمى ذلك انتخابا وقال صاحب المؤيد واننا نعرض أسماءهم الآن على الحاضرين ونأخذ رأيهم فيهم . فقال كاتب هذه السطور انه ما كان لأحد ان يطعن في كفاءة أحد في وجهه ولا على مسمع الملأ ولذلك اتفقت الامم كلها جعل الانتخاب في مثل هذا الأمر سريا فدعى نجل ونحترم كل واحد من أولئك المذكورين ولكننا ربما نرى أناسا آخرين أولى بهذا العمل من بعضهم فكل واحد ينتخب سراً من يعتقد كفاءته لهذا الامر مع حفظ كرامة الآخرين . وأما ذكر صاحب المؤيد أسماءهم لية الاحتفال وسكوت الحاضرين فلا يسمى انتخابا اذ لم يخطر في بال أحد من الحاضرين ان تلك الاسماء ذكرت لأخذ رأيه فيها ولا ان له الحق في جرح أحد ممن ذكر

ثم اقترح بعض الحاضرين أن يكون البحث قبل كل شيء إمكان المؤتمر وعدمه، واذا ظهر أنه ممكن فهل الأولى أن يكون عاما أو خاصا بمصر وطال الجدال في ذلك. واقترح بعضهم بيان موضوع المؤتمر أولا فكان السيد البكري أحسن من أجاب اذ قال ما معناه موضحا ان السيد جمال الدين قال انه لا فرق بين المسلمين وبين سائر الشعوب الا في الدين ولا يمكن أن يكون دين الاسلام في حقيقته هو السبب في تأخرهم لأنه هو الذي كان السبب أولا في جمع كلمة العرب ونقلهم من الجهل والأمية الى العلم ومن البداوة الى المدنية ومن الفقر والضعف الى الغنى والسيادة فالشيء الواحد لا يكون سببا للشيء ولضده معا فلا بد أن يكون فهم الدين قد تغير ودخل فيه ما ليس منه فكان أثره في الآخرين ضد أثره في الأولين ولا يصلح حال المسلمين الا بالرجوع الى حقيقة الدين (قال) هذا ما سمعناه من السيد جمال الدين وهذا ما سمعناه من الشيخ محمد عبده وعليه جميع العارفين من الكتاب والباحثين ومنه يعرف موضوع المؤتمر. وعند هذا قال بعض الحاضرين لبعض وهم أحمد بك زكي الأمين الثاني لاسرار مجلس النظار ان هذا عمل قامت به مجلة المنار. وقام الشيخ اسماعيل خليل فقال قولا جاء فيه اشارة الى ما صرح به غيره من جواب هذا القول وهو ان ما يكتب في المنار وكذا في بعض الجرائد أحيانا من البحث في أسباب ضعف المسلمين وطرق علاجه يكون عملا لانتقاد بعض الناس فاذا كان مثل ذلك معزوا الى طائفة كبيرة من علماء المسلمين وفضلائهم وأهل الرأي فيهم يرجى ان يكون مقبولا نافعا وقد أشرنا الى ذلك في مقالتنا عن المؤتمر في هذا الجزء

وبعد كثرة الجدال انفض القوم ولم يتفقوا على شيء فعزم من حضر ممن سماهم صاحب الموعد اللجنة التحضيرية على ان يسموا أنفسهم اللجنة التأسيسية أو لجنة التأسيس للمؤتمر وأن يضموا اليهم من يختارونه للعمل معهم

ثم انهم بعد ذلك اجتمعوا واختاروا الشيخ سليما البشري رئيسا للمؤتمر وعمر بك لطفي المحامي كاتبا للسر وناطوا تحديد موضوع المؤتمر ونظامه باللجنة مؤلفة من الشيخ توفيق البكري وصاحب الموعد وابراهيم بك الهلباوي وحسن باشا رفقي ورفيق بك العظم

رزية مصر بحسن باشا عاصم

رزئت مصر في ثالث شوال برجل الجد والعمل والثبات والاستقامة والعدل والنظام خادم الأمة المخلص نابغة النوابغ نادرة العصر يتيمة العصاميين العصماء حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاءنا وعزاء البلاد عنه. وانا نكتب في شأنه كلمات لا نقصد بها مجرد الرثاء والتأبين، ولا محض الترجمة والتاريخ، بل العبرة والموعظة للأمة عسى ان يكون فيها الأهل الاستعداد حسن الاسوة.

من هو حسن باشا عاصم الذي يحليه المنار بهذه الألقاب والنعوت غالبا عادته في ذكر الناس بأسمائهم؟ من هو حسن باشا عاصم الذي يرثيه المنار وقد مات كثير من الأمراء والباشوات وكذا العلماء ولم يذكر موتهم ولا عزى البلاد عنهم؟

كان حسن عاصم رجلا من الرجال الذين تنهض بأمثالهم الأمم اذا كثروا فيها ولو كثر أمثاله في مصر لاذعنت انكلترا بأن المصريين قادرون على أن يحكموا أنفسهم كأرقى أمة أوربية فقد كان اذاً روحا من أرواح الحياة القومية، وركنا من أركان النهضة المدنية، وان كان عمله كما كانت همته العامة، وقلما تتصف به الأمة الخاصة،

كان ربما يزور هذه البلاد السائح المؤرخ فيقرأ جرائدها، ويخشى أنديتها ومعاهدها، ويتحدث مع الخواص والعوام، والمحكومين والحكام، فيسمع ويقرأ أخبار الأحزاب ومؤسسيها، والمتحزب لها أو عليها، والمحاورات في التفاضل بين أفراد، يقال انهم هم الذين ينهضون بالبلاد، ولا يسمع لحسن باشا عاصم في هذه المواضع ذكرا، ولا يقرأ عنه في هذه الصحف خبرا، فكيف كان لحياة البلاد روحا مدبرا، ولنهضتها ركنا مشيدا، والأمة في مجموعها غافلة عنه، جاهلة عمله، ويتنازع زعامة النهضة فيها زيد وعمرو، وخالد وبكر،؟

الجواب عن هذا ان الرجل كان فعالا، ولم يكن قوالا، وأمتنا في مثل هذا الطور تفضلها الأقوال، وتغرها الدعاوى العراض الطوال، وحب قول كبير الدعوى، قدير على التقرير، لو كثر أمثاله في الأمة ما زادوها الا رقيا، ولكن

ما كان يعرف حسن باشا عاصم أحد — وكل أهل الفضل في البلاد يعرفونه — إلا ويجزم بأنه لو كان فينا عشرون رجلا مثله في صفاته وأعماله لنهضوا بنا نهضة لا نظير لها في حال الذين يقولون مالا يفعلون ولكانوا حجة لنا على الاجانب لا بكابر أحد في دحضها . ولكن يوجد في البلاد مئات أو ألوف يستطيعون أن يقولوا بألسنتهم وأقلامهم ما يشبه بشدة المرء بين العامة قضت عليهم حال المعيشة بأن يكون كسبهم الذي هو قوام معيشتهم بأعمال أخرى

صفات حسن باشا عاصم وأخلاقه

(استقلال الفكر) من الصفات التي تعلل بها هذا الرجل استقلال الفكر والرأي فقد كان لا يقلد أحدا في رأيه وانما ينظر في الأمر ويطيل فيه الفكر والتدبر حتى يظهر له الصواب وانا نرى أكثر الرجال قد درجوا على التقليد والتسليم حتى كأنهم لم يخرجوا من الطفولية وهم لا يشعرون بذلك لأنهم يظنون أنهم مستقلون فيما قبلوه بادي الرأي ولا عمل هنا لكشف التلبيس في ذلك

(استقلال الارادة) كان رحمه الله تعالى مستقل الارادة قوي العزيمة أعني انه كان يعمل دائما ما يعتقد أنه الصواب والخير والموافق للمصلحة في الواقع ونفس الأمر بحسب اعتقاده وان كان مما يخشى أن يعود عليه بالضرر . وهذا الخلق فينا أضعف من سابقه ولو كان عندنا كثير من المتكلمين والعاملين الذين يعملون بما يعتقدون انه الخير والمصلحة للبلاد لكنا من أرقى الشعوب فان فينا عددا كثيرا من العارفين بما يجب ولكنهم ضعفاء العزائم فلا يعملون بما يعلمون

(الثبات والاستقامة) كان رحمه الله تعالى كالجبل الراسخ في ثباته على رأيه وعمله واستقامته في سيره وبهذا كان نافعا في استقلاله وقوة ارادته فان العزيمة تكون في الخير والشر وفي المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وتكون للرجل الثابت وللرجل المتقلب فان الامة التي ليس لها رأي مستقر قد يكون ضعفها في العمل بالرأي قبل أن تتحول عنه وقد يكون قويا . وكان رحمه الله لا يشكو من شيء شكواه من التقلب والتحول في الناس فقد اقترحت عليه غير مرة مشروعات نافعة للأمة مما يكون بالاجتماع والتعاون وكان يجيبني في كل مرة : إنك حسن الظن في الأمة

أكثر ما يجب لأنك لا تختبرها : وقال لي مرة أو غير مرة ما معناه انا اذا دعونا الى هذا العمل نجد المجيبين اليه كثيرين في أول الأمر ثم يتساقطون واحدا واحدا حتى لا يبقى منهم من يمكن أن يستمر به العمل

(الصبر والاحتمال) كان على نحافة بدنه آية في الصبر على العمل واحتمال المشقة لا يملّ ولا يسأم ولولا الصبر والاحتمال ما كان ثبات ولا استقامة . كان في كل عمل دخل فيه يعمل ما لا يعمله عدة رجال حتى كان يملّ ويتململ كل من يشتغل معه لا سيما اذا كان هو رئيسه ولكنه لا يستطيع أن يشكو من كثرة العمل مع من يراه يعمل أضعاف عمله . وقد كان يشتغل اخيرا في أربعة ادارات كبيرة في كل يوم فيعجب كل عالم من صبره وجلده — وهي ادارة القصر العالي وإدارة تركة الأمير محمد ابراهيم وادارة الجمعية الخيرية ومدارسها وادارة الشركة الانكليزية المصرية — هذا وهو غير مهمل لادارة منزله بل مقيم لها على أكمل نظام

(النظام والاتقان) كان عاشقا للنظام كلفا باتقان كل أمر يشتغل به . فكان كل عمله مرتبا منظما متقنا حتى قال فيه سعد باشا زغلول انه خلق منظما بالطبع . ومن يخطر بباله أن صاحب تلك الأعمال الكثيرة كان يشتغل ساعات من ليله ونهاره ويشغل معه فيها بعض أصحابه في البحث عن صحة كلمة أو عبارة فيما يطبعه لمدارس الجمعية الخيرية أو لشركة إحياء العلوم العربية ؟ خطر له أن يطبع أجزاء القرآن الكريم لأجل التعليم في مدارس الجمعية بحسب قواعد الرسم لا برسم المصحف المتبع عن الصحابة عليهم الرضوان فبدأ أولا بالبحث عن جواز ذلك واستفتى فيه الاستاذ الامام فأفتاه بجوازه ورجع نصا عن الامام مالك بجوازه في مصاحف التعليم ثم كان يستنسخ الأجزاء ويبحث بنفسه مع أهل العلم في الكلم التي يشتبه في رسمه كلمة (الضحى) تكتب ألفها بصورة الياء أم ملساء والكلمات التي في آخرها ياء تحذف في قراءة حفص لاجل الوقف . فكنا نسهر معه الليالي ذوات العدد نتباحث في هذه الكلمات . ثم تولى ضبط ذلك كله وتصحيح الأصل بالشيخ حسين والي مؤلف كتاب الإملاء ليطبقه على قواعد الرسم بعد مراجعة كتب القراآت لكي لا يخرج الرسم عن أداء المتواتر منها ثم انه كان يراجع

بنفسه كل ما يصححه الشيخ حسين

وقد عزم منذ أكثر من سنتين على طبع كتاب العمدة في الادب لابن رشيق بنفقة جمعية إحياء العلوم العربية فلما أرسلت اليه المطبعة الاميرية نموذج الملزمة الاولى بعد تصحيح مصححيها لها ومراجعتها مقابلة على النسخ قرأها فوقف في فهم بعض عبارتها والاحاديث وأبيات من الشعر فيها فراجع كاتب هذه السطور في ذلك في مكتب المنار غير مرة كنا نراجع فيه الأحاديث في كتبها والاشعار في مظانها من كتب الأدب واشترى هو ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأن فيها شيئاً من شعره وراجع أيضاً غير واحد من أصحابه أهل العلم والأدب. وبعد هذا كله لم يأذن بالطبع لأنه بقي في الملزمة عبارة غامضة يرجح انها محرفة وطفق يسأل ويبحث عن نسخة أخرى من العمدة ليجلبها أو يستنسخها من القطر الذي يعلم أنها فيه . وأبى عليه خلق الاتقان وامانة العلم ان يطبعها وهو يعتقد أن فيها تحريفا فتبارك من أتم عليه بهذه الاخلاق ، ويا ليت الذين يتجرون بطبع الكتب الدينية والعلمية وغيرها يعنون بعض هذه العناية بالضبط والاتقان

(الجد والرصانة) كنا نرى كثيرا من الناس يفتقدون منه رصانته وجده في كل وقت وحال وتجنبه الهزل والدعابة وتحاميه المزاح والمفاكهة في الحديث الا قليلا وهذا هو الواجب على من يريد أن يخدم شعبا يعتقد أنه يكثر فيه الطيش والخفة ويغلب على أكثر أفراده الهزل واللهو واللعب في زمن يزاحمه فيه أهل الجد والعمل من الشعوب الأخرى على بلاده وينازعونه جميع مقومات حياته فلولا هذا الاتقان لما قدر على كثير مما عمل . ولكننا لا ننكر مع هذا ان استغراق جميع الاوقات في الجد والالتزام الرصانة في جميع الأحوال من المبالغة المنتقدة في الفضيلة ولكن لا يقبل انتقادها الا ممن يعرف أكثر أوقاته في الجد ويفرغ في أقلها للاهل والصحب بقدر كهم ويمازحهم ويبسط اليهم في الحديث وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا

(الاقتصاد والوفاء) اشتهر فقيدنا المبكي بأنه من الفضلاء بالمبالغة في الاقتصاد حتى كان بعض الناس يظن فيه البخل والتقتير وهو لم يكن بخيلا ولا مقترا في النفقة بل كان في الانفاق على ما أمر الله تعالى في قوله (٦٥ : ٧ لينفق ذو سعة من سعته

ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه) كان يكتب ليفه ميزانية السنة قبل دخولها فيجعل المخرج غير مستغرق للدخل كله ويحصي كل أنواع النفقات ويضيف اليها مبلغا احتياطيا ثم يؤدي كل شيء في وقته فكان يدفع اشتراكات الصحف العربية والافرنجية في أواخر شهر دسمبر من كل سنة واشتراك الجمعية الخيرية في غرة المحرم فيأخذ أول وصل ما وصولات التحصيل وأجور الخدم في أول يوم من كل شهر وثمن كل شيء يشتريه في وقته . ولولا هذا الاقتصاد لما قدر على الوفاء الكامل في المعاملة بأداء كل حق في وقته ولا على الاستغناء عن الاقتراض والاستدانة بالربا

نعم ان اقتصاده المبني على قواعد العلم الحديث والتزامه النظام فيه ومن كل عمل كان يستلزم مخالفة أهل البلاد في بعض الامور مخالفة يستنكرونها فيسمونها بغير اسمها . فمن ذلك أنه كان اذا دعا الى طعامه نفرا من أصحابه وزاره عند وقت الطعام أو قبله صاحب آخر فانه لا يدعوه معهم بل كان بعض أصدقائه ربما يتعمد أن يقول : بلغني أن فلانا وفلانا سيأكلان العشاء عندك وأحب أن أكون معهم : ليجيبه بعربته المعهودة : انه ليس لك كرمي على المائدة في هذه الليلة : وذلك أنه رحمه الله تعالى كان يعني الطعام على قدر حاجة الآكلين المعلومين بلا تقتير ولا تبذير . وكيف يوصف بالتقتير من كان خدمه يأكلون من جميع ما يأكل منه أهل البيت وضيوفهم من الالوان والحلوى حتى الفاكهة في العشاء

وبلغ من اقتصاده في مال الجمعية الخيرية أنه كان لا يرمي ورقة مكتوبة من الاوراق التي لم تبق من حاجة اليها الا بعد أن يقص منها ما عدا المكتوب ان كان ينتفع به بامكان كتابة شيء عليه . ووقع لي معه دقيقة من هذه الدقائق أذكرها مثالا وهي أنني جئت مرة قصر عابدين أبغي لقاء الأمير وكان هو رئيس التشريفات فأرسلت اليه بطاقة الزيارة للاستئذان ولما هممت بالخروج من حجرته قال لي خذ هذه البطاقة — وكانت لا تزال في يده — فانها أدت وظيفتها الآن ويمكن أن تؤدي بها مرة أخرى : قلت له ذكرني هذه الدقة في الاقتصاد كلمة للامام الغزالي وهي أن الميزان الذي لا يرجح بالحبة لا يرجح بالقنطار لأن القنطار مؤلف من الحب

فاذا أتي في الميزان حبة بعد حبة لم يكن الرجحان الا بحبة : فأعجبه هذا القول وكان يمثل به

ومن الناس من يبرأ بهذه الدقائق ويعدها من الصغائر التي لا تليق الا لأهل النفوس العالية . وهذا خطأ وجهل يزينه لصاحبه الاسراف والمرق واعتياد الخلل والحرمان من النظام فان الكاتب (المخاط) الذي لا يعنى بكل حرف من الكلمة لا يكون بجرع خطه كامل المحسن، والبناء الذي لا يعنى بضبط كل حجر يضعه لا يكون بناؤه رصينا محكما، والمصور الذي لا يدقق في إحكام تصوير كل عضو لا تأتي صوره مطابقة لأصوله . وهكذا يضيع المال الكثير في غير فائدة من يفرط في حفظ القليل بوضعه في غير موضعه

ان كثيرا من المسرفين الذين يسميهم الخلق أسخياء وأجوادا يعطون أصحاب الحقوق ويلوونهم وهم واجدون ما يؤدون به ولا يكادون يبذلون شيئا في سبيل الله واذا خرج منهم الحق لا يخرج الا نكدا ولكنهم يراؤن الناس باضاعة المال في أمور لا يحمد فاعلها عند العقلاء ولا يؤجر عند الله . ومنهم الذين يضيعون ما ورثوا من الثروة الواسعة أو غير الواسعة فيقعون في الذل المزجج ، والفقر المدقع ، وما أكثرهم في هذه البلاد ولكن أكثر الناس لا يعتبرون

قال الفقهاء يكره في الوضوء ان يغسل المتوضئ العضو أكثر من ثلاث مرات لان ذلك من الاسراف ولو كان يتوضأ من البحر الا ان يكون له حاجة أخرى في الزيادة كالتبرد ولكن لا ينوي بها العبادة وقالوا ان حكمة الشرع في ذلك هي أن تتعلم الامة الاقتصاد في الامور كلها فلا تفرط في شيء وتضيعه في غير منفعة وان لم يكن في اضاعته ضرر

أي ضرر يتصور أن يصيب الأمة لو جرى جميع أفرادها على طريق حسن باشا عاصم في الاقتصاد . لا يضيعون شيئا بوضعه في غير موضعه ولا يبخلون حقا من مستحقه ويجتهدون في السبق الى مساعدة الجمعيات الخيرية؟ أما والله ان أمة يكثر فيها أهل هذا الخلق لجديرة بأن تكون أسعد الامم (الترجمة بقية)

(يصدر هذا الجزء من المنار في سلخ شوال وهو شهر سلخ رمضان)

﴿ الاحتفال بالعقد الاول من عمر المنار ﴾

أنشئ المنار في سنة ١٣١٥ وصدر العدد الأول منه في مساء اليوم الـ٢٢ من شهر شوال من تلك السنة ثم زحزحنا أول سنته الى غرة ذي القعدة ثم الى أول المحرم فصارت السنة الهجرية هي سنة المنار الحسابية منذ صدر منه الخامسة أي سنة ١٣٢٠

وفي أوائل هذه السنة وهي العاشرة خطر لاسماعيل بك عاصم الخطيب والمحامي الشهير أن يقيم في داره احتفالا ينوه فيه ببلوغ المنار هذه السن من عمره ولكن عرض له سفر قضى بارجاء ذلك وعاد الى مصر قبيل شهر رمضان وذاكرني في ذلك فأخبرته بتاريخ انشاء المنار فسر بذلك وعزم على ان يجعل الدعوة الى الاحتفال في مثل اليوم الذي صدر فيه أول عدد منه وهو ٢٢ شوال فوزع رقاع الدعوة على أصحاب المجلات الشهيرة في مصر وغيرها ليجتمعوا مساء ذلك اليوم في داره بالعباسية ويكون الاحتفال في ليلة ٢٣ وهي أول ليلة ظهر في مثلها المنار وكذلك كان

للمنار في مصر محبون كثيرون من علية القوم ومنهم من يقدر على مالا يقدر عليه اسماعيل بك عاصم من خدمة الاصلاح بالتنويه به والعون على زيادة انتشاره ولكن اسماعيل بك عاصم ابتكر هذا النوع من الاصلاح لا بما عرضت أو فكرة سنحت كما ظن بعض من لا يعرف كنه الرجل بل أرشدته الى ذلك فطرته وهدته اليه ملكة راسخة فيه هي حب الاجتماعات العلمية والادبية ونشر الآراء والحكم النافعة فكم سبق له من تأليف الجمعيات ومن مساعدة المؤلفين لها بالمال والقال على قدر الحال كما أخبرني الثقة وشاهدت في جمعية مكارم الاخلاق . ويدخل في هذا الباب مساعدته لفن التشخيص أو التمثيل بتأليف القصص وابداعها ما يراه مناسبا لاهل البلاد من انتقاد العادات الضارة والترغيب في الآداب النافعة وبالعون على تمثيلها بالمال فقد سمعت الشيخ سلامه مدير دار التمثيل العربي وأشهر الممثلين يقول: انه كان يؤلف الرواية ويعطي (المجوق) ستين جنيها اعانة له على تمثيلها بمصر: على أن غيره لا يبيع القصة بأقل من هذا الثمن

ذكرت هذا قبل الكلام عن كيفية الاحتفال ليبان بعض مزايا المحتفل لمن لا يعرفها من قراء المنار في الشرق والغرب وفي مصر أيضا فإني سمعت كثيرين يقولون

بلهجة الاعجاب والتعجب كيف خطرت لفلان هذه الفكرة يظنون انها سانحة عرضت ، لم تأت عن ملكة رسخت

اسماعيل بك عاصم يطالع المنار بدقة متتبعاً سير الاصلاح فيه ومحكثيرا مايفاتحني في مسائل منه يعجب بها فضل إعجاب ومسائل ينتقدها أو يريد فيها غوصاً أو ايضاحاً فعلمه بخدمة المنار علم تفضيلي وله عنده منزلة خاصة عبر عنها بهذا الاحتفال الذي يجب أن يجعله سنة دائمة فجزاه الله عن عمله وعن نيته خير الجزاء

أجاب الدعوة الى الاحتفال عشرون مدعواً تجمعهم رابطة العلم والادب اجتماعاً لايفرقه الاختلاف في الجنس فان منهم العربي (وهم الأكثر بالطبع) والفارسي كالدكتور محمد مهدي خان صاحب مجلة (حكمت) والتركي كالدكتور جودت بك صاحب مجلة (اجتهاد) ولا الاختلاف في الوطن فإن منهم المصري والسوري وغير ذلك ولا الاختلاف في الدين فان منهم المسلم والنصراني القبطي وغير القبطي واليهودي (وهو فرج أفندي مراد المحامي محرر مجلة التهذيب الدينية الأدبية لطائفة القرائين)

تم اجتماع القوم بعد العشاء الآخرة في الساعة السابعة مساء وكانوا قد أقبلوا فرادى وعشر وثبات . وطفقوا يتسامرون بألطف الكلام والبشر يتدفق من وجوههم سروراً بهذا الاحتفال ، الذي ألف بين الآلاف والاشكال ، وصاحب الدعوة كان يقابل كل واحداً بالمفاوة والبشر حتى كأن سروره بهم يجمع بسرور مجموعهم . وفي أثناء الساعة الثامنة دعوا الى حجرة المائدة فانتظموا حولها كعقد اللؤلؤ المنظوم ، أو كحلقة مؤتلقة من النجوم ، ولا بدع فهم نجوم الهداية الى الآداب والعلوم ، وقد أعجبوا بذوق صاحب الدعوة ورب الدار ، فيما على المائدة من تنسيق الرياحين والأزهار ، واختيار أنواع الفاكهة والثمار ، مع حسن نظام الدار ، وما يزينها من رائق الأنوار ، فإنه جلب اليها صنوف الفاكهة السورية كالعنب الزيني والزعرور اللبناني وحب الآس وغير ذلك علماً منه بأن المحتفل لاجله ونحو نصف المدعوين وهم سوريون يحنون بذلك الى ماألفوا في سن الصبا وأن سائر المدعوين يسرون منه بجدة الطريف ، وما زال الانسان يحن الى غير المبذول المعروف ،

مكثوا نحو ساعة ونصف يمزجون أطايب الطعام ، بأطايب الكلام ، ويجمعون بين أحاسن الفاكهة ، وأحاسن الفاكهة ، ثم طافت القناني على الاكواب ، تُترعها بالماء الغازي (الغازوز) الممزوج بأصل الشراب ، فأكلوا هنيئا مريئا ، وشربوا حلالا طيبا ، وبعد الطعام قام صاحب الدعوة خطيبا ، مرحبا بالقوم ترحيبا ، فألقى الخطبة التي نشرناها في هذا الجزء من المنار ، وزاد عليها نحو ما من عقائل الكلام ودقائق الاشعار

وهنا أقول إن اسماعيل بك عاصم قد اعتاد ارتجال الخطب ولم يعتد تأليفها وحفظها ثم تلاوتها كما يفعل كثير ممن يدعون الخطابة فضلا عن كتابتها وتلاوتها في الورق . ولكنه في هذه المرة خالف عادته وكتب الخطبة التي نشرناها وطبعها ليوزعها على من يحضر الاحتفال ولكنه غلب عليه ما تعود فألقاها بالمعنى غالبا وزاد فيها ما فتح عليه ارتجالا وكان مما زاده الثناء على هذا العاجز بأكثر مما في الخطبة فأخجلني ذلك جدا

قمت بعد إتمامه ما جاد به لأشكره ولاخواني الحاضرين فضلهم وأقول شيئا يناسب المقام فأوحى الي ملطان الخجل الذي كان يحكم في وجداني حكما استبداديا لا طاقة لي بدفعه أن كل ما يمكن أن أقوله من الشكر أو الكلام في الاصلاح والعلم فهو يتضمن الثناء على نفسي وأرتج علي أو كاد حتى لم أجد من القول الا الاعتذار عن الشكر بالعجز عنه اذ لم أوت جرأة الخطيب وطلاقته وعن الكلام في المسائل العلمية والادبية بأني أفتح عيني فلا أرى أمامي الا اعلام التحرير ، أو الكاتب البارع في التحرير ، أو الفيلسوف المدقق ، أو المؤرخ المحقق فماذا عساني أفيد هؤلاء الفحول ، وهم أعلم مني بكل ما يمكن أن أقول ، قلت ولو أنهم في مجتمع عظيم من سائر طبقات الناس لكان يتيسر لي ان أصرف بصري عنهم ، وأخاطب بما يفتح علي غيرهم ، فقابلوا بكرمهم العذر ، وأعجبهم الاعتراف بالعجز ، ولكنهم تواضعهم عدوه من التواضع

ثم قام بعقوب أفندي صروف الكاتب في العلم والفلسفة ومحرر مجلة المقتطف المفيدة فألقى خطابا مفيدا افتتحه بقوله انه عند ما قدم السيد رشيد رضا الى هذه الديار كتب الي بعض أهل العلم (وذكر اسمه) كتابا يقول فيه انه قد ظن

الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمه هو لا يخاف في ابداء ما يعتقد شيئاً . فلما اطلعت على العدد الاول والثاني من المنار جزمت برأي قلته وكتبته بعد ذلك غير مرة وهو ان اخواننا المسلمين سينظرون في المستقبل الى صاحب المنار وكذا الى المرحوم المفتي (يعني الاستاذ الامام) كنظر النصارى في أوربا الى لوثير وكلفن

ذلك أيها السادة لأن الدين له أعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدنية قامت في العالم الا وكان أساسها الدين . اننا لا نبحث في أصول الاديان لأننا كلنا نعتقد أنها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصدهم عن المدنية أو يسوقهم اليها فقد كان أهل أوربا يفهمون الدين المسيحي فهما حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعد ان قام فيهم لوثير وأنصاره بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدأ مدنيتهم الحاضرة . وقد كان العرب من قبل يفهمون الاسلام فهماً دفعهم الى المدنية والعلوم ثم انقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى إصلاح يجمع بين الدين والمدنية وأن فلاناً هو الذي أخذ على نفسه القيام بهذا الاصلاح في مجلة المنار التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقنا المنطيب الفاضل والعالم الشهير اسماعيل بك عاصم . ان صاحب المنار يقاوم البدع والخرافات ويشرح الدين شرحاً يميل ميل المدنية ويهدم العقبات التي تعترض سالكيها وبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبني في وقت واحد

ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق وبعدوه خدمة عامة لا خاصة بالمسلمين لأنهم يعلمون ان الشرق لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم العنصر الاكبر فيه وأثنى على هذا العاجز المحتفل لاجله وأشار الى ما لقيه من المصاعب وصبره عليها وعلى اسماعيل بك عاصم بما يليق بغيرته على العلم وحبه له واكرامه لآله ،

هذه فحوى ما ألقاه به الدكتور الحكيم ملخصاً وقد كان موضع الاعجاب والاستحسان كما يليق بما فيه من الابداع والاحسان ، فطق بذلك كل لسان بعد ما نطقت بالتصفيق البنان ،

ثم قام سيد أفندي محمد صاحب المجلة المدرسية (وناظر المدرسة التحضيرية الكبرى) وارتجل خطبة ضافية الذيول ، متدفقة السيول ، مدح فيها العلم وأهله ، وحمد فيها المحتفل وأطرى المحتفل لأجله ، ومما قاله انه عرف صاحب المنار ، أول مقدمه لهذه الديار ، وعلم ان سيتشيء صحيفة إصلاحية فيها لذلك كان من المواظبين على قراءة المنار والاستفادة منه منذ ظهر الى الآن . وأنه لم يكن قبل المنار يسمع صوتا ولا يرى كتابة تنشر في مقاومة البدع والخرافات . ثم ذكر ما لقي المنار من المقاومة والمعاداة وصبر صاحبه على ذلك حتى تم نوره وعم ظهوره وانتشر تعليمه وانتفع الناس به وصرح بأن المقاومين له من العلماء وغيرهم قد افتضحوا هم أنفسهم به وصاروا يفكرون في حالهم ومآلهم وما ينبغي ان يكونوا عليه في هذا العصر . وقد بالغ في إطراء هذا العاجز وتحليته بالألقاب التي لا يستحقها اذ لم يكن يشير اليه الا بكلمة « استاذنا » وما يصله بها من النعوت العالية فجزاه الله عن حسن ظنه بأخيه خيرا . وقد أثنى على المحتفل الكريم في فاتحة القول وختامه ، بل في كثير في أجزائه وأقسامه ، وصفق له الحاضرون مراراً

ثم قام توفيق أفندي عزوز صاحب مجلة المفتاح خطيبا وهو من كتاب وخطباء القبط . أصهار الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر ان مجلته قريبة من مجلة المنار في السن فهي في السنة التاسعة من عمرها وأفاض في تفضيل المجلات على الجرائد وأثنى على المحتفل وهنأ المحتفل لأجله

وكان حسن بك حمادة صاحب مجلة الأحكام الشرعية قد أعد شيئاً وكتبه ليجعله أصلا لخطبة يلقيها فضاق الوقت باطالة الخطيبين الأخيرين فمنعه كغيره عن الخطابة فأعطاني ما كان كتبه وهو بنصه :

« لو سمحت سنة الادب بأن لا يهنأ الشخص بمسار ، الا بعبارة تحيط بوصفه ، مسبوكة في قالب من البلاغة مساو لبلاغته ، لوجب على حضرة الاخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أن يقوم بتهنئة نفسه ويؤدي هذا الفرض عن هذا العاجز ولكن الله سبحانه وتعالى يقبل شكر عباده على قصورهم عن أداء واجبه وصاحب المنار خير من تخلق بخلق مولاه فأطلب اليه أن يتقبل

تهنئة هذا الضعيف له على ثبات ارادته ومغالبته لما اعترضه من الصعاب في سبيل عمله الجليل الذي يؤديه للعالم الاسلامي بل العالم الانساني .

اذا قضى واجب الوطنية والتابعية علينا مرة بمشاطرة صاحب المنار الاغر السرور بهذا العيد الادبي فان واجب الدين الذي وقف صاحب المنار نفسه لخدمته، وصرف مواهبه في الذب عن حوضه، يوجب علينا ذلك مرات كثيرة، وقد ضمنا من وراثهما أدب أقناه مقام الوالد .

واني أحس كما يحس كل صادق في خدمة العلم الصحيح ساع في خير الانسانية وبعبارة أجل كما يحس كل شخص ضمنه حاشيتا هذا الحفل الزاهر بأن نجاح صاحب المنار الاغر، وقطعه لهذا العقد من السنوات خطوة واسعة في ارتقاء الآداب، ودرة ثمينة في تاج المجلات التي تصدر في هذا القطر المبارك، بل فخر لمجلات المجلات التي تصدر في الشرق أجمع .

واني عن هيئة الاحكام الشرعية أحيي مجلة المنار الاسلامي بدخولها في العقد الثاني من حياتها المباركة واسأل الله لصاحبها الفاضل النجاح والتوفيق فيما قصد .

هذا وليس بعجيب أن يقوم حضرة الاصولي المفضال اسماعيل عاصم بك الخطيب الشهير بمظاهر هذا العيد فطالما خدم العلم والادب وكانت له اليد الطولى على الجمعيات الادبية في مواطن كثيرة وله منا جميعاً أجمل الشكر ومن الله تعالى جزيل الاجر والسلام » اه

وقدم الينا التلميذ النجيب محمود أفندي مرعي التاريخ الآتي فنشرناه شكراً له وتنشيطاً

مؤسس عيد المنار على المعارف والسنن الظاهره
دعوت الجهابذة العالمين وأهل المعارف في القاهره
ومن كل شهم اذا ما تحمد ث ينطق بالدرر الساحره
ليحيى المنار ورب المنار وعاصم والسادة الحاضره
بعيد المنار فأرخ الا يمن لقد بلغ العاشره

٣٢ ١٠٢ ١٣٤ ١٠٣٢ ٦٠٧

وانصرف القوم منتصف الليل حامدين رب الدار، مهنئين داعين بإطالة عمر المنار وصاحبه